سلسلة

اقــرأ . . . واتعــظ

٤

الرجل التائب

بقلم

عاطف عبد الفتاح

رسوم

عبد الرحمن بكر

دار

التقوى

للنشــر والتوزيــع

٨ شارع زكى عبد العاطى من شارع عمر بن الخطاب
عرب جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ص . ب : ٦٧١ العتبة - كود ١١٥١١ ت : ٢٩٨٩٩٤٣

الرجـــل التائب

فى الأمم السابقة . . .

عاش رجلٌ وهو يعصى اللهَ ولا يفعلُ أىَّ خيرٍ . . كان يرى الدنيا سيئةً ، ويرى الناسَ من حوله أعداءً له . . لذا كان يكرههم حتى بدونِ سببٍ . .

بالغَ الرجلُ فى معصيتِه لله وكراهيَتِه للناسِ حتى قتل تسعةً وتسعين . . . ورغمَ هذا العددِ الضخمِ الذى قتلَهُ ، فإن الرجلَ كان طيبَ القلبِ ، وكان يتمنى من كلِّ قلبِه أن يتوبَ إلى اللهِ ، ولكنه لم يكنْ يعرفُ كيفَ يتوبُ .

ومازال يتذكرُ آخرَ رجلٍ قضى عليه عندما وقفتْ زوجتُه تبكى وتشكو إلى اللهِ .

ورقَّ قلبُ الرجلِ العاصى فجأةً للمرأةِ وأولادها الصغارِ ، وأحسَّ فى نفسه بندمٍ شديدٍ . . . ماذا ستفعلُ المرأةُ وأولادُها الضعافُ بعد وفاةِ زوجِها ؟ وسهرَ الرجلُ ليلَتهُ يفكرُ ويقولُ : ليتنى لم أفعلْ هذا . إنَّ أهلَهُ مساكين وشعرَ الرجلُ بالدنيا تضيقُ من حولِهِ وأحسَّ بأن كل شيءٍ فى الدنيا يلومُه على ما فعلَهُ . . . فخرج من بيتِهِ فى منتصفِ الليلِ ، وسار فى الشارعِ لا يدرى إلى أين يذهبُ ، وماذا يفعلُ .



شىءٌ فى نفسهِ يقولُ له بإلحاحٍ شديدٍ : تُبْ إلى اللهِ . . إن عذابَ اللهِ شديدٌ .

لمح الرجلُ العاصى من بعيدٍ رجلاً يمشى فناداه . ما إن رآه حتى فزعَ منه ، لكنَّ العاصىَ طمأنه ، وقال له : أرجوك . . أريدُ أن أتوبَ .

أجابه الرجلُ بقلقٍ ، وقال له : اذهبْ إلى الراهبِ . . إنه فى ذلك الديرِ البعيدِ . وانصرف الرجلُ بسرعةٍ .

وأسرعَ العاصى إلى مكانِ الراهبِ ، وهو يدعو اللهَ أن يقبلَ توبتَهُ ، ودقَّ البابَ ، فسمعَ صوتاً ضعيفاً من خلفِ البابِ يقولُ : مَنْ ؟

قال الرجلُ : أنا يا سيدى . .

وسمع الرجلُ الصوْتَ يقتربُ من خلْفِ البابِ ، ويقول : أنا أنا من هذا الذى يدُقُّ علىَّ البابَ فى هذه الساعةِ ؟ ! ورأى الرجلُ العاصى البابَ يُفْتَحُ بحذرٍ ، ورأى المصباحَ قد رفعَهُ الراهبُ فى وجهِ العاصى ، وهو يتأملُه ويقولُ : ألم تكنْ تستطيعُ أن تنتظرَ حتى الصباحِ ؟

قال العاصى : لا يا سيدى . . . فقد جئتُ أطرقُ بابَكَ لأمرٍ خطيرٍ .



قالَ الراهبُ وقد فتحَ البابَ كُلَّهُ : آه . . . وما هو الأمرُ الخطيرُ الذى جعلَكَ توُقظنى من نومى ؟

قال الرجلُ العاصى بتلهفٍ : لقد جئتُ أتوبُ على يديك . . . كلما تذكرتُ الأمَّ وأولادَها وهم يبكون على أبيهم ركبنى الغمُّ .

فقالَ الراهبُ وهو يسخرُ من العاصى : وهل تُحسُّ مثلَنا حتى يركَبَكَ الغمُّ ؟

قال الرجلُ وقد أحنى رأسَهُ : لقد ندمتُ على ذنوبى .

سأله الراهبُ : وكم بلغَ عددُ ضحاياك حتى الآن ؟

قال الرجلُ وقد أحنى رأسَهُ : لقد قضيتُ على تسعةٍ وتسعين . . . وأريدُ أن أتوبَ .

فصاح الراهبُ بشدةٍ ، وقال للرجلِ العاصى : أيها الفاسقُ . . . كيف تتوبُ وقد ارتكَبْت كلَّ هذه المعاصى ؟

فأمسكَ العاصى بيدِ الراهبِ وقالَ وهو يتوسلُ إليه : أريدُ أن أتوب . . . أريدُ أن يرضى اللهُ عنى .

فغضب الراهبُ أشدَّ غضبٍ ، ودفعَ الرجلَ بقوةٍ وهو يقولُ : ابتعد عن هذا المكانِ الطاهرِ ، حتى لا تنجِسَهُ بخطاياك . لن يغفرَ اللهُ لك أيها القاتلُ .



وقفَ الرجلُ العاصى وهو غضبان جدا ، وجرى إلى الراهبِ ، وقالَ له ما دام اللهُ لن يغفرَ لى فسأكملُ بكَ المائةَ .

وقضى العاصى على الراهب ؛ لأنه تعاملَ معه بقسوةٍ ، ويَأّسَهُ من رحمةِ اللهِ وعادَ إلى بيته ، وتذكرَ ما حدثَ ، فانهمرتِ الدموعُ من عينيه ، ولامَ نفسَه على ما فعلَ أشدَّ لومٍ . . . ولم تُظْلِمِ الدنيا فى عينيه هذه المرةَ . . . إنه الآن يحس بأن هناك أملاً فى النجاةِ من المعاصى . . فخرجَ مسرعاً إلى الشارعِ ، يبحثُ عن أحدٍ يأخذُ بيدهِ إلى رحمةِ الله . . .

وقابلَ رجلاً فسألَهُ ، فقالَ له : إن الذى يدلُك على الصوابِ هو عالمنا الذى يعيشُ فى أوَّلِ البلدِ .

ووصفَ الرجلُ للعاصى مكانَ العالمِ ، فشكرَ الرجلَ ، وأسرع العاصى يطرقُ بابَ العالمِ .

فتحَ العالمُ بابَهُ ، فقال له العاصى : آسفٌ لأنى جئتُ فى هذا الوقتِ المتأخرِ ، ولكنى أردتُكَ فى أمرٍ . . .

فقاطعَ العالمُ الرجلُ العاصىِ قائلاً : قبل أن تسألَنى ، تفضلْ وادْخُلْ واسترحْ . . . يبدو أنك سرتَ كثيراً حتى وصلتَ إلىَّ .



قال العاصى وهو يدخلُ : لقد أتيتُ من آخرِ البلدِ . . .

ودخل العاصى المنزلَ وجلسَ العالمُ بجوارِه ، وسألَهُ : ما حكايتُكَ ؟

شعر الرجلُ براحةٍ شديدةٍ ، فقال للعالمِ : حكايتى أننى رجلٌ عاصٍ لله . . كلُّ الناسِ تكرهُنِى .

قال العالمُ : كلُّ الناس تكرهُكَ ؟ ! لماذا ؟ !

قال العاصى : لا أعرفُ . . ولكنى قضيتُ على مائةٍ منهم .

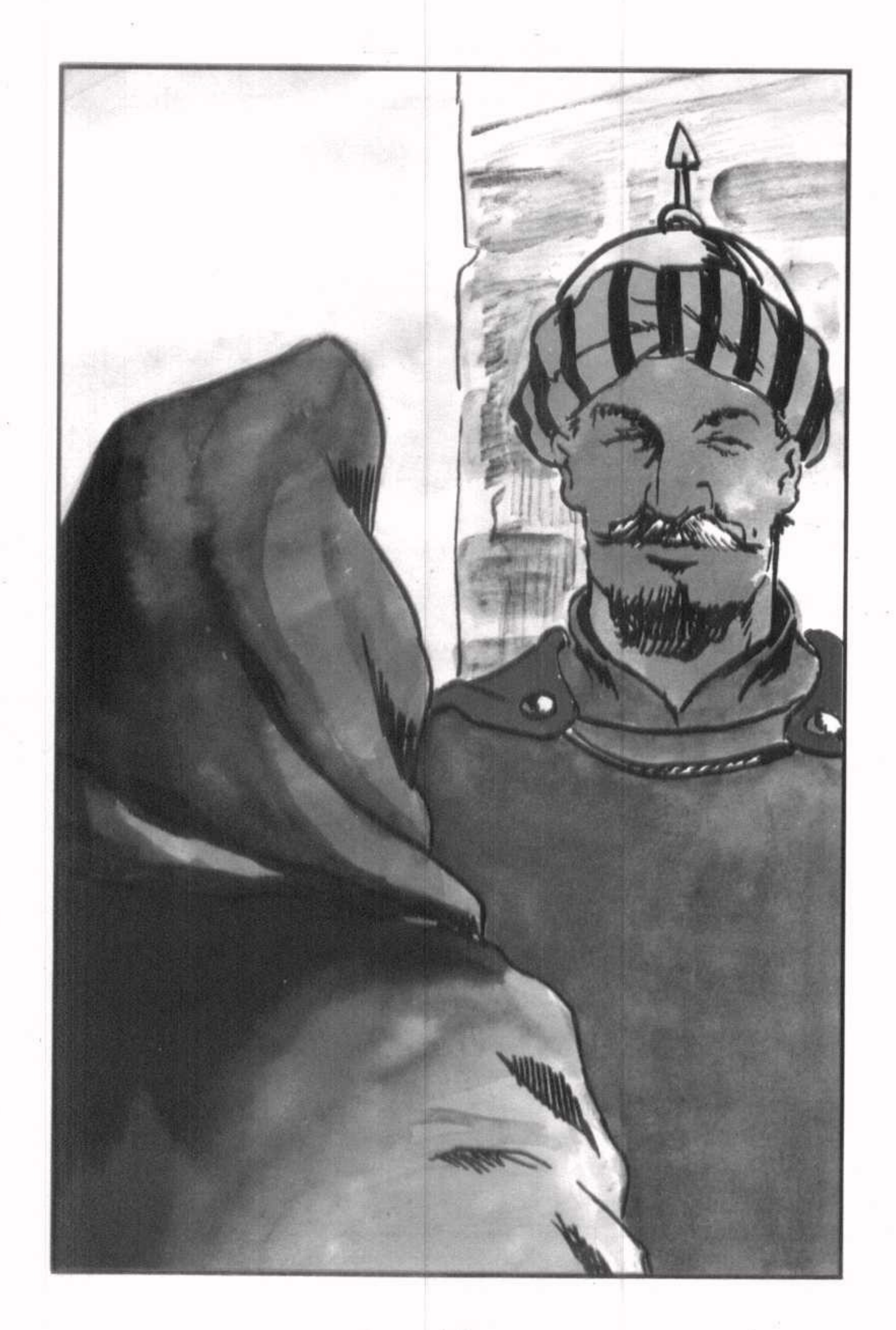
قال العالم بكلِّ هدوءٍ وهو يضمُ شفتيه من الدهشةِ : قضيتَ على مائةٍ !

قال العاصى : كانوا تسعةً وتسعين ، أردتُ أن أتوبَ ، فذهبتُ إلى راهبٍ ، أخبرْتُهُ ، فردنى بشدةٍ ، وقال : لن يغفرَ اللهُ لك .

سأله العالمُ : وماذا فعلتَ ؟

قال العاصى : غضبتُ أشدَّ غضبٍ ، وقضيتُ عليه ، وعدْتُ إلى بيتى حزيناً ، لأنى قتلتهُ ، لأن الله لن يغفرَ لى .

أحسَّ العاصى بيدِ العالمِ الدافئةِ تُوضعُ على كتفِهِ ، سمعَ العالمَ يقولُ له : وَمَنْ قالَ إنَّ الله لن يغفرَ لك ؟ !



فانتفضَ العاصى من مكانهِ ، وسألَ العالمَ ماذا تقصدُ يا سيدى ؟ !

قال العالمُ : أقصدُ أن رحمةَ اللهِ واسعةٌ . .

فنظرَ العاصى إلى العالمِ بتطلُّعٍ شديدٍ وقال : وهل سيَرْحَمُنِى ؟ !

فابتسم العالمُ ، وقال للعاصى : لقد أخطأ الراهبُ أشدَّ خطأٍ عندما ردَّ عليك هكذا .

أمسكَ العالمُ بالعاصى وقال له : يا بنى ، إن بابَ التوبةِ مفتوحٌ ، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يحولَ بينك وبينه .

قال العاصى : حتى لو كنتُ قتلتُ مائةً ؟

فقال العالمُ : إن اللّه يقبلُ توبةَ عبدهِ إذا تابَ بصدقٍ ، ويغفرُ ذنَبهُ مهما كان .

هنا أحسَ العاصى أن الدنيا عادْت تنيرُ فى وَجْهِه ، وأحسَّ بفرحةٍ عجيبةٍ تملأُ نَفْسهُ ، فانحنى ليقبلَ يد العالمِ ، لكّن العالم شدَّ يَدَهُ بسرعةٍ ، وأوقف العاصىَ ، وقال له : يا بنى إن هذه البلدةَ سيئةٌ فعلاً ، وأهلُها مفسدون ، فإذا أردتَ أن تعيشَ فى طاعةِ اللهِ ، فاتركْ هذه البلدةَ .

سأل العاصى العالمَ : وأين سأذهبُ ؟



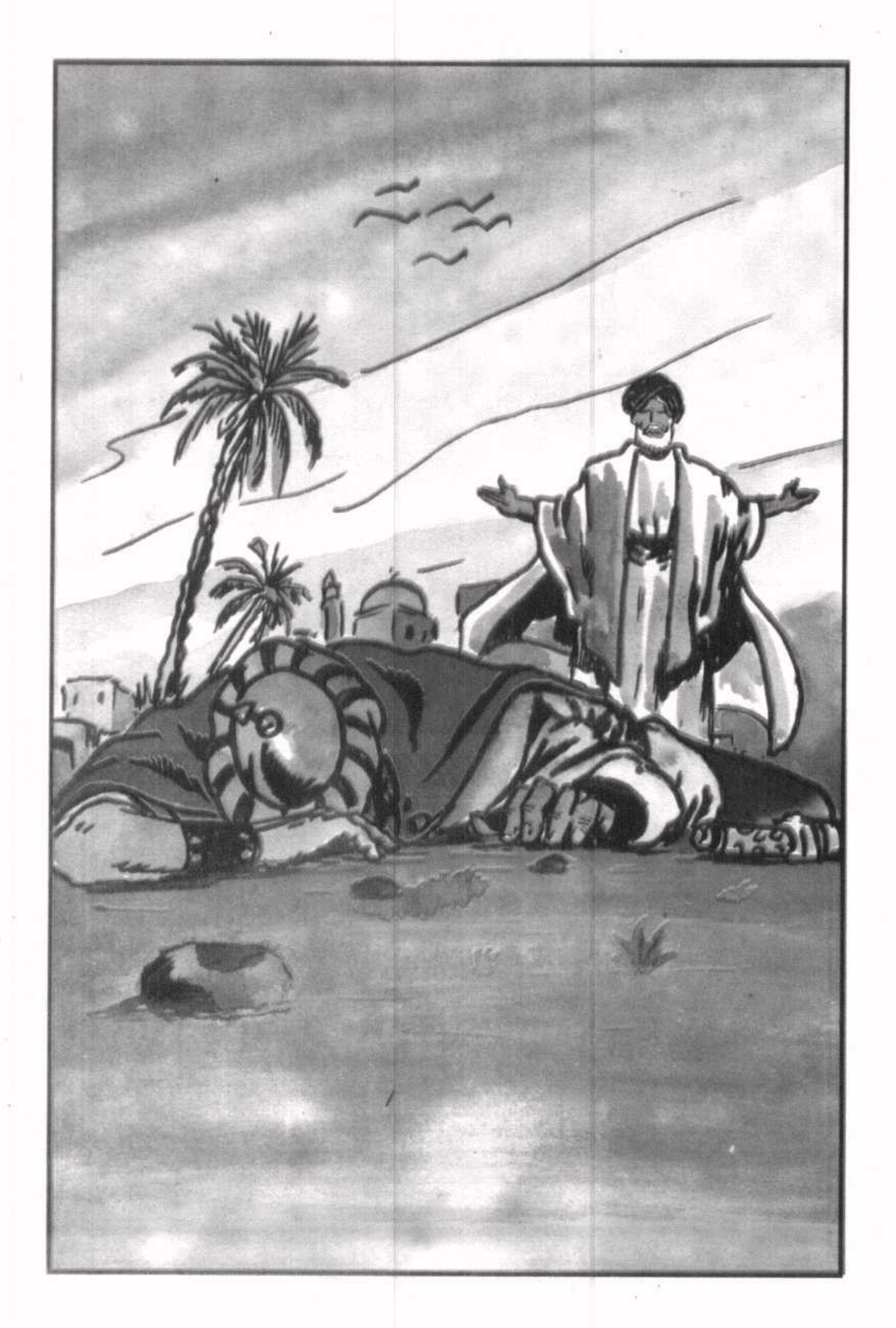
قال العالمُ : تُوجَدُ بلدٌ بجوارنا . . . أهلُها طيبون ويعبدونَ اللهَ . . اذهب إليهم وعِشْ مَعَهُمْ . . واحذَر أن تعودَ إلى المعصيةِ .

قال العاصى : سأذهبُ إليهم حالاً .

واستأذنَ وخرجَ ، وسار فى طريقهِ إلى البلدةِ الطيبةِ . وكان الرجلُ يدعو اللهَ وهو سعيدٌ جداً لأن اللهَ سيغفرُ له .

وأحسَّ لأولِ مرةٍ أن الدنيا جميلةٌ ، وأن كلَّ نسمةِ هواءٍ تحبُّهُ ويحبُّها . . . وظلَّ يفكرُ . . كيفَ ستكونُ حياتهُ الجديدةُ ؟ من المؤكد أنها ستكونُ سعيدةً ما دامت فى طاعةِ اللهِ . . . وأزداد تشوقُهُ إلى البلدةِ المؤمنةِ ، فأسرع الخطا . . . يودُّ أن يطيرَ لو استطاع . . لقد أضاعَ عُمْرَهُ فى ظلماتِ المعاصى . . الآن يعيشُ فى نورِ الإيمان . . . إن للإيمانِ حلاوةً يجدُها فى قلبه . . حلاوة لا مثيلَ لها . لقد سارَ الرجلُ التائبُ نصفَ المسافةِ . . . لمحَ البلدةَ من بعيدٍ ، ففرح جدا ، ولم يكمل سيَرُه ، فقد توفاه اللهُ .

وفى الحال نزلتْ ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ لتصعد بروحِه ، واختلفوا . قالتْ ملائكةُ الرحمةِ : لقد تَاب إلى اللهِ ، فهو من أهلِ الجنةِ .



وقالتْ ملائكةُ العذابِ : إنه لم يفعلْ خيراً فى حياتِهِ ، فهو من أهلِ النارِ .

ولما اختلفتِ الملائكةُ قالت : ننظرُ حتى يمرَّ علينا أحدٌ فنسألهُ رأيَهُ .

ومر بهم ملكٌ فى صورةِ رجلٍ ، وقال لهم : قيسوا المسافةَ بين البلدتين .

وقاسوا المسافةَ ، فوجدوا التائبَ أقربَ إلى البلدةِ الطيبةِ ، فحملت روحَهُ ملائكةُ الرحمةِ لكى يدخلَ الجنةَ .

فغفرَ اللهُ للرجلِ الذى قتلَ مائةً ؛ لأنه صَدَقَ فى توَبتِهِ .

مطبعة الجبلاوى - ٢٠٢ شارع الترعة البولاقية - شبرا ت : ٦٨١٨٩٥
رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٨٥ / ١٩٩٧ I. S. B. N. 977 - 5242 - 66 - 1